من الصَّرْع ، وذاك ينفع في حفظ المزارع والمنازل من التّلف والحريق ، وذلك يفيد في الجمع بين النّافِرين من الأحباب ، إلى آخر ما ابتدعوا لها من الفوائد الحِسيَّة والمعنويَّة » .[1]

وتتألّف البُردة من مائة وسبعة وستين بيتًا موزّعة على عشَرَة فصول : فالفصلانِ الأوّل والثّاني يضمّان مقدّمةً غزليَّة تقليديَّة ، غير أننا نلاحظ فيها تساميًا روحيًّا واضحًا ، فليس فيها تغنٍّ بمحاسن محبوبةٍ ، كما رأينا في مِدْحة كعب بن زهير ، وإنما نرى الشّاعر يشكو آلام الغرام ويتحدّث عن زيارة الطّيف وعن لائِميهِ في حبّه « العُذْري » ، والوُشاة الكاشفين لِسرّه مهما بالغ في كتمانه ، كذلك نراه يُرَدِّد أسماء مواضعَ حجازيَّة ونَجْدِيَّة ، مثل ذي سَلَم وكاظمة وإضَم ، على النّحو الذي أشاعه في الشّعر العربيِّ الشّريفُ الرّضِي ومِهْيار الدّيْلمي . وكلُّ ذلك دليل على أن هذه المقدّمة الغَزَليَّة الأولى إنما هي تعبيرٌ رمزِيٌّ عن حبّه للرّسول ﷺ وشوقه لزيارته ، والمقدّمة الثّانية مجموعةٌ من الوصايا والنّصائح يتحدّث فيها عن النّفْس الأمّارة بالسّوء ، والتّحذير من الانقياد لهواها وشهواتها ، وفيها تشبيهاتٌ جميلة مثل قوله :

والنّفْسُ كالطِّفْل إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على ... حُبِّ الرّضَاع وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

أو قوله :

كمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً للمَرْءِ قاتِلَةً ... مِنْ حَيْثُ لمْ يَدْرِ أنَّ السُّمَّ في الدَّسَم

كما تتردّد خلالها عباراتٌ أصبحت من الحِكَم الجارية على الألسنة ؛ لما فيها من إيجازٍ وإحكام تَعْبير ، من أمثال قوله :

« إنَّ الطّعامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِم »

« إنَّ الهَوَى ما تولّى يُصْمِ أو يَصِم »

---

(١) المدائح النبوية ، ص ٢١٦ .